

الأساس هي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف الوجدان واضطرابات العواطف (59)

ثانيا: الانفعالات العسرة: (22)

اضطرابات الوجدان (العواطف)

مُسَر الاضطرابات الوجدانية: كَمَيَا (19)

مقدمة عن:

تناقض الوجدان، وانشقاقه، وتحمل الغموض

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD18115.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/01/18

السنة الثامنة - العدد: 2697



.... أجلت الحديث عن "تناقض الوجدان" ambivalence حتى أتمكن من الوفاء بحقه ومدى تواتره في الحياة العادية أيضا، وكذا مدى تداخله مع ظواهر إيجابية اختلطت معه عند العامة والخاصة، وبالذات ظاهرة "تحمل التناقض" Tolerance of Ambiguity وهي التي تعتبر من أهم علامات النضج، فكيف كان ذلك؟.

إذا كان الإنسان يتميز بنوع خاص من الحزن الحيوى الذى أفصنا فيه بما تيسر

لنا **(نشرة: 14-12-2014 "اللاستمتاع")**، وكان الحزن فى نشأته يرتبط بالموقع الاكتئابى ([1]) فى النمو (وهذا ما سوف أرجع إليه فى نشرة باكر غالبا)، وكنت قد أشرت إلى أن الاكتئاب الإنسانى خاصة هو "موقف علاقائى" مرتبط بضرورة عمل علاقة بالآخر لنكون بشرا من ناحية، وبدرجة من الوعى بالصعوبة المترتبة على ذلك من ناحية أخرى، فإن كل ذلك يلزمنى ببداية أخرى واستطرادات لازمة.

مثما اعتدنا، نبدأ من التطور، ونتساءل هل تناقض الوجدان موجود عند الأحياء، قبل الإنسان؟ للإجابة على هذا السؤال حضرنى فرض يقول:

إن ما دون الإنسان يعمل علاقة أسهل وأكمل مع أفراد نوعه ربما لافتقاره لدرجة الوعى التى يتميز بها الإنسان (وإلى نوع الوعى أيضا)، وأيضا وربما تتم هذه العلاقة بانتمائهم إلى وعى القطيع معظم الوقت فى أمان نسبي، اللهم إلا للتزواج لحفظ النوع وهذا مرهون بتوقيته ودوراته، والأرجح أن الإنسان قد تجاوز هذه المرحلة دون أن يتنازل عن حقه فى الانتماء إلى الوعى الجماعى إلى ما بعده من مستويات الوعى المتصاعدة.

دعونا الآن نتذكر أن تشارلز داروين تجنب الحديث أصلا - فى حدود علمى - عن "تناقض الوجدان" عند الحيوانات فى كتابه عن التعبير عن الانفعال عند الحيوان والإنسان، وربما عرج بالحديث إلى الاكتئاب ولكن علينا أن نتذكر قبلا أنه كان يتحدث عن "التعبير عن الانفعالات"، أكثر من معاشتها، وهى العملية التى يتميز بها الإنسان خاصة، ومن هنا علينا أن نحترمه ونلتمس له العذر انه لم يعرج، ولو - بالدرجة الكافية - إلى هذه المنطقة - تناقض الوجدان - مع أننى لا أستبعد أنه حاول بالتقصص أن يرصد فى الحيوانات ما هو قريب من ذلك ([2]).

أن الأكتئاب الإنسانى خاصة هو "موقف علاقائى" مرتبط بضرورة عمل علاقة بالآخر لنكون بشرا من ناحية، وبدرجة من الوعى بالصعوبة المترتبة على ذلك من ناحية أخرى

نبدأ من التطور، ونتساءل هل تناقض الوجدان موجود عند الأحياء، قبل الإنسان؟

تناقض الوجدان ambivalence (تكافؤ الضدين عاطفيا): يعنى معايشة عاطفتين ضد بعضهما البعض تجاه نفس الشخص (أو الشئ) بكليته المائلة، وهى نفس الوقت، وليس بالتبادل

إن عرض تناقض الوجدان موجود فلا بد من التأكد من أن:

التضاد الوجداني حادثه تجاه
"كل" الشخص نفسه وأنه موجود
موجود، وفي "نفس الوقت".

انشقاق الإدراك " ليس عرضا
مرضيا أصلا، لكنه ظاهرة
تعلم أن الإدراك يمكن أن
يميز جوانب معينة من
الموضوع (الشخص الآخر)،
ويستقبلها ويترجمها إلى
وجدانات مناسبة، وعلاقات
ملائمة، في حين أن نفس
الإدراك أو جانب آخر منه
أيضا يتعرف على جانب آخر
من نفس الشخص

وصلت هذه الظاهرة (انشقاق
الإدراك) إلى مستوى
التفكير والتعليم والمنطق،
فإنها تصعب آلية من آليات
التكيف بشكل أو بآخر، لأن
صاحبها يستطيع أن يتوقع أنه
يتعامل مع هذا الجانب ثم أنه
يتعامل مع الجانب الآخر،
فيقابل كل منهما ما يناسبه

تذبذب الوجدان: يشير هذا
المصطلح إلى وجود عاطفتين
متضدتين أيضا، أو أحيانا
مختلفتين اختلافًا شديداً،
ولكن حضورهما ليس متزامنا
تماما بل بالتناوب السريع خلال
ساعات أو أيام

هذا التذبذب برغم وجود
التناقض إلا أنه لا يعد عرض

الظاهرة التي نحن بصددنا لها تجليات مختلفة في السواء والمرض وهي ظاهرة وجود

عاطفتين متناقضتين معا في نفس الوقت تقريبا، وفيما يلي تعداد ذلك كمقدمة:

أولاً: تناقض الوجدان ambivalence (تكافؤ الضدين عاطفياً): يعنى معايشة عاطفتين ضد

بعضهما البعض تجاه نفس الشخص (أو الشيء) بكليته الماثلة، وفي نفس الوقت، وليس بالتبادل.

هذا التعريف يؤكد أن هذا العرض:

- 1) لا يشمل فكرة أن تحب جانبا معينًا في شخص ما وتكره جانبا آخر.
- 2) ولا هو يفيد وصف كيف يمكن أن تحب شخصا الآن وتكرهه في وقت آخر في ظرف آخر
- 3) ولا أن تحبَ شخصا وتكره تصرفه (كما يقول المثل العامي المصري: أحب الناس واكره طبعهم)

وإنما لكى يقال إن عرض تناقض الوجدان موجود فلا بد من التأكد من أن: **التضاد**

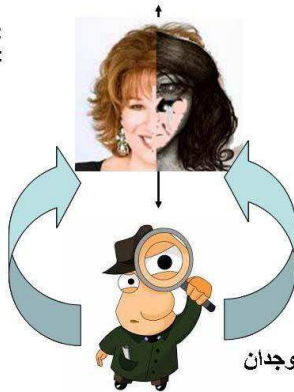
الوجداني حادث تجاه "كل" الشخص نفسه وأنه موجود موجود، وفي "نفس الوقت".

إن الالتزام بهذا التعريف هو الذى يقربنا من أصل الظاهرة، وبالذات من صعوبتها نتيجة لعلاقتها
بالوعى البشرى، وبالإدراك، ثم إن أى تنازل عن الشروط السالفة الذكر سوف يزيح العرض إما إلى
ظاهرة أخرى.

ثانياً: انشقاق الإدراك (الوجدان): ابتداء نتذكر علاقة الوجدان (خصوصا كما قدمناه) بالإدراك

(خصوصا كما قدمناه) وما أسميته هنا "انشقاق الإدراك" ليس عرضا مرضيا أصلا، لكنه ظاهرة تعلم
أن الإدراك يمكن أن يميز جوانب معينة من الموضوع (الشخص الآخر)، ويستقبلها ويترجمها إلى
وجدانات مناسبة، وعلاقات ملائمة، فى حين أن نفس الإدراك أو جانب آخر منه أيضا يتعرف على
جانب آخر من نفس الشخص، سواء كان هذا الجانب هو سمة دائمة، أو تفاعل مؤقت، مما يستتبع أن
يثير الوجدانات المقابلة اللازمة للتعامل معه، أو الحكم عليه، أو الاقتراب منه أو العكس، وظهور
العاطفتين بهذا الشكل لا يدرج هذه الظاهرة مع عرض "تناقض الوجدان" هذه ظاهرة طبيعية ومفيدة فى
التعامل بين البشر، وتحدث غالبا بإرادة واعية، ولكنها قد تجرى بعيدا عن الوعى بدرجات مختلفة،
ولا نلاحظ - ولا يلحظ صاحبها - إلا نتائجها، وإذا وصلت هذه الظاهرة إلى مستوى التفكير والتعليم
والمنطق، فإنها تصيح آلية من آليات التكيف بشكل أو بآخر، لأن صاحبها يستطيع أن يتوقع أنه
يتعامل مع هذا الجانب ثم أنه يتعامل مع الجانب الآخر، فيقابل كل منهما ما يناسبه، وبرغم التأكيد
على كونها طبيعية تماما فإن المبالغة فيها قد توصل إلى درجات مختلفة من الاختزال والاعتراب
بشكل أو بآخر، خاصة إذا حدثت بعيدا عن الوعى.

Split Perception:
affect



انشقاق الإدراك: الوجدان

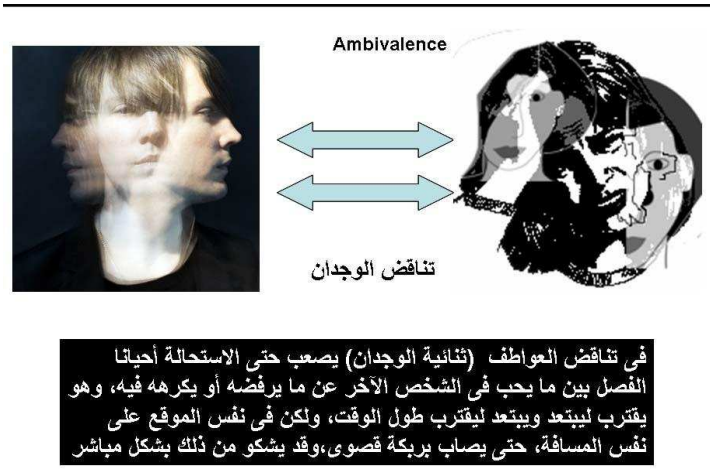
فى انشقاق الإدراك: إراديا أو تلقائيا نحب جانبا من الشخص الآخر،
وتكره صفات أخرى فيه، ونتعامل مع ما نحب، وقد ننجح أن نتجنب ما نرفض، وننشأ
علاقة، لكن استقطابية ناقصة غالبا.

ويمكن أن نضع القول السائد: "أحب الناس واكره طبعهم" ضمن هذه الظاهرة، أي ضمن محاولات التكيف بما يشبه الحلول الوسطى، وهو أمر وارد، لا هو بالمرض، ولا هو غاية المراد على أية حال..

ثالثاً: تنذب الوجدان: يشير هذا المصطلح إلى وجود عاطفتين متضدتين أيضاً، أو أحيانا مختلفتين اختلافاً شديداً، ولكن حضورهما ليس متزامناً تماماً بل بالتناوب السريع خلال ساعات أو أيام، وبالتالي فإن هذا التنذب برغم وجود التناقض إلا أنه لا يعد عرض "تناقض الوجدان" المعنى هنا لعدم التزامن، وهو لا يعد أيضاً من "الاضطرابات الوجدانية" سريعة الدوران rapid cyclic حيث تتبادل دورات هذا الأخير خلال أسابيع أو شهور، وليس خلال أيام أو ساعات محادة

عودة إلى اضطراب الوجدان

يعتبر تناقض الوجدان عرضاً، (جزءاً من مرض) إذا كانت نتيجته هي الابتعاد عن مصدر هذا التعارض، والانسحاب من صعوبة أو مخاطرة عمل علاقة به تضطره إلى تحمل التناقض،



"تناقض الوجدان" المعنى هنا لعدم التزامن، وهو لا يعد أيضاً من "الاضطرابات الوجدانية" سريعة الدوران rapid cyclic حيث تتبادل دورات هذا الأخير خلال أسابيع أو شهور، وليس خلال أيام أو ساعات محادة

يعتبر تناقض الوجدان عرضاً، (جزءاً من مرض) إذا كانت نتيجته هي الابتعاد عن مصدر هذا التعارض، والانسحاب من صعوبة أو مخاطرة عمل علاقة به تضطره إلى تحمل التناقض

في تناقض العواطف (ثنائية الوجدان) يصعب حتى الاستحالة أحيانا الفصل بين ما يحبه في الشخص الآخر عن ما يكرهه فيه، وهو يقترب ليبتعد ويبتعد ليقترب طول الوقت، ولكن في نفس الموقع على نفس المسافة، حتى يصاب بربكة قصوى، وقد يشكو من ذلك بشكل مباشر

وكثيرا ما توجد هذه المشاعر تجاه الوالدين، وبالذات الوالد القاسى الراعى في نفس الوقت، أو الأم التي كانت، أو ما زالت تمارس مع أبنائها نوعا من العلاقة مزدوجة الوثاق Double bind ، حين تقول لابنها بالألفاظ مثلا "أنت حر"، في حين تكون الرسالة غير اللفظية، والعملية، في نفس اللحظة هي مطالببتها له بالطاعة العمياء والامتثال طول الوقت بما تفرضه من أوامر ونواهٍ، ومهما كان هذا التصرف بعيدا عن منطقة الوجدان من حيث الظاهر، إلى أنه يحدث بلبلة في نمو الطفل بشكل يجعله عرضة للعودة إلى هذا الموقف المنطبع فيه من سن مبكرة في حالة المرض خاصة. وتناقض الوجدان يبدو عرضا ظاهرا في حالات الفصام وخاصة في بداية المرض، وخاصة تجاه أحد الوالدين.

تناقض الوجدان يبدو عرضا ظاهرا في حالات الفصام وخاصة في بداية المرض، وخاصة تجاه أحد الوالدين



تحمل الغموض Tolerance of ambiguity هذه الظاهرة التي تدل على درجة عالية من النضج عامة والنضج الوجداني تشير إلى قدرة الشخص الناضج -

رابعاً: تحمل الغموض Tolerance of ambiguity

هذه الظاهرة التي تدل على درجة عالية من النضج عامّة والنضج الوجداني تشير إلى قدرة الشخص الناضج - بعكس الطفل وغير الناضج- أن يتبين أوجه التناقض في شخص ما، ولا يحول ذلك دون عمل علاقة كاملة، فهو يحتمل التناقض ولا ينكره لا في نفسه ولا في الآخر ويستمر ويتواصل معه "بكل ما هو" بأكبر قدر من الموضوعية والفاعلية. وهذا ما سوف نعود إليه غداً غالباً.

بعكس الطفل وغير الناضج- أن يتبين أوجه التناقض في شخص ما، ولا يحول ذلك دون عمل علاقة كاملة، فهو يحتمل التناقض ولا ينكره لا في نفسه ولا في الآخر ويستمر وهو يتواصل معه "بكل ما هو" بأكبر قدر من الموضوعية والفاعلية

[1] - من الآن فصاعداً سوف ألتزم بتعبير "الموقع الإكتئابي" بدلاً من "الموقف الاكتئابي" الذي كنت أستعمله تعبيراً عن ما يقابل Depressive Position، وهو التعبير الذي اوصفته مدرسة العلاقة بالموضوع بدءاً من "ميلاني كلاين"، بالإضافة إلى كل من الموقع الشيزيدي Schizoid Position والموقع البارنوي Paranoid Position.

[2] - ولقد حاولت شخصياً ذلك دون أي ضمان إن كان ذلك كان تقمصاً إسقاطياً، أم مواجهة أصلية.

**** **

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2013/2014

الإدراك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2012/2013

" في تجليات ما هو موت "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

... قراءة من منظور تطوري " الفصحاء "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe